تؤذن بالاستفحال ، ولا يخفى مغزاها على أهل السياسة ، ولكن تركيا آثرت بطبيعة الحال إلى التضحية بالسلطة المطلقة فى مصر ، وسمحت بتسرب السلطة إلى أيدى الأحزاب المصرية المتشاحنة ، فإن هذا كان أهون خطرا ، وأيسر خطبا من تلك الثورات العنيفة التى كانت تهددها على الأفق الغربى .

ومن ثم شهد القرن الثامن عشر نبوغ سلسلة من الأمراء المصريين (المماليك) ينزعون السيادة من ممثل السلطان (الوالى) شيئا فشيئا ، ويختطفون من يده أزمة الحكم زماما فزماما حتى أصاروه اسما ورمزا ، لا حقيقة لحكمة ولاهيبه له .

ولكن ذلك الخطب مهما بلغ ، كان أهون على السلطان من عداوات أوربا ، إذ كان الأمراء المصريون على كل حال يذعنون لسلطته الدينية بصفته خليفة المسلمين ، ولا يحاولون بحال أن يخرجوا عن سلطانه الروحى . فكان فى ذلك الخضوع عزاء كبير عن فقدان السيادة وخسارة الحكم الحقيقى . وكان الأمل لا يزال يعاود تركيا ، أو بقول أدق كان الأمل لا يزال يعاود الساسة العثمانيين أن يدبروا مؤامرة محكمة يسترجعون بها السلطة بأن يسلطوا بعض الأحزاب المصرية على بعض ، فيستطيعون بهذه الوسيلة أن يهلكوا الأحزاب جميعا ، إذ أتى الوقت الذى تفرغ فيه الدولة العثمانية من شئوونها الهامة فى أوربا .